بسم الله الرحمن الرحيم

باب التفسير

يقدمه: عنتر أحمد حشاد

٩ – سورة البقرة

> **« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضـــون (٨٣) » .**

رأينا فى الآيات السابقة أمانى اليهود الباطلة ، وادعاءاتهم الكاذبة، وزعمهم أن النار لن تمسهم الا أياما معدودة ، ومخالفة ذلك لقانون العدل الالهى الذى لا يعرف شيئا من الظلم ولا المحاباة لأحد ، فالخلق أمامه سواء ، لا فرق بين جنس وجنس : كل امرىء بما كسب رهين ، من يعمل سوءا أو حسنا يجز به « من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

ونحن اذا جئنا نطبق هذا القانون على حالتهم وجدناهم قد أخذ الله عليهم الميثاق أن يعتقدوا الحق ، وأن يفعلوا الخير : « واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا » .. فتولوا وأعرضوا ، كما أخذ عليهم الميثاق ألا يفعلوا الشر ، وألا يقترفوا المحرم « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من

دياركم » .. فخالفوا عن أمر الله ، وارتكبوا المحرم ، لم يأتمروا بأوامر الله ، ولم يجتنبوا ما نهى عنه ، وانما نقضوا العهدين ، وأذن فبحكم المبدأ والقانون حق عليهم الخزى فى الحياة الدنيا ، وأشد العذاب يوم القيامة : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » . « فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » .

الميثاق الاول : ميثاق الاوامر :

« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل (١) لا تعبدون الا الله (٢) وبالوالدين احسانا (٣) وذى القربى واليتامى (٤) والمساكين (٥) وقولوا

---

(١) الميثاق : العهد الموثق المؤكد الذى اخذه الله عليهم فى التوراة ، وقد سبقت الاشارة الى هذا الميثاق فى الآيتين ٦٣ و ٦٤ فى معرض تذكير بنى اسرائيل بنقضه : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » . وفى هذه الآية (آية ٨٣) نجد شيئا من التفصيل لبعض نصوص هذا الميثاق .

(٢) لا تعبدون الا الله : المقصود منه نهيهم عن عبادة غيره تعالى ، فهو نفى واخبار بمعنى النهى ، اى (لا تعبدوا الا الله) ، وقد قرىء به (بحذف النون) وذلك كقولك لشخص : « تذهب الى فلان وتقول له كذا » والمعنى: اذ هب اليه وقل له كذا ، والدليل على هذا عطف الاوامر عليه : « وقولوا للناس حسنا ، واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة » والاوامر لا تعطف الا على طلب (امر او نهى) ولا تعطف على خبر .

ونظير ذلك ما جاء فى رواية مسلم : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته » برفع الفعلين : « يبيع ، ويخطب » لأن لا نافية ، لا ناهية ، فهو نهى فى صورة الخبر ، وقوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » والمعنى (والله أعلم) : (أرضعن — أيتها الوالدات — أولادكن حولين كاملين) ، فهو أمر فى صورة الخبر ، والخبر فى هذه الشواهد والامثلة كلها ابلغ من صريح الامر والنهى ، فكأن الامر والنهى قد امتثلا ، والمقصود الاخبار عن الوقوع بالفعل ، لا الامر ولا النهى ، وفى ذلك ايذان بوجوب المسارعة الى الامتثال بالائتمار والانتهاء .

(٣) اى « وتحسنون بالوالدين احسانا » أو « واحسنوا بالوالدين احسانا » يقال : « أحسنت به » كما يقال « أحسنت اليه » .

(٤) اليتامى جمع يتيم ، أو يتيمة ، واليتيم من الانسان : الصغير الذى فقد اباه قبل أن يبلغ ، فاذا بلغ لا يعد يتيما ، والعجى : الذى تموت امه ، واللطيم : الذى يموت أبواه .

(٥) المساكين : المحتاجين .

للنـــاس حسنا (١) وأقيموا الصـــلاة (٢) وآتوا الزكاة (٣) ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون » .

هذه الآية تيئس جماعة المسلمين من ايمان اليهود ، حتى لا يطمعوا فيه بعد أن رأوا عصيانهم والتواءهم ، ونكولهم عن العهد ، ونقضهم للميثاق ، فهى تحدث المسلمين عن حال اليهود ومواقفهم ، وتواجه اليهود بهذه المواقف على مشهد من المسلمين .

والمعنى اجمـــالا :

واذكروا ـــ أيها المسلمون (٤) ـــ نقض بنى اسرائيل للميثاق الذى أخذه الله عليهم فى ظل الجبل ، والذى أمروا أن يأخذوه بقوة ، وأن يذكروا ما فيه .. ذلك الميثاق الذى تضمن القواعد الثابتة لدين الله ، هذه القواعد التى جاء بها الاسلام أيضا مصدقا لـــا معهم ، فتنكروا لها وأنكروها . فكيف تطمعون فى ايمانهم .

وأخذ الله ميثاق بنى اسرائيل بهذه الامور : توصيتهم بالعمل بها توصية مؤكدة فى التوراة التى أنزلها على موسى عليه السلام .

والميثاق بالتوحيد وغيره من العقائد وأمهات الاخلاق والفضائل مأخوذ على جميع الامم كما أخذ على بنى اسرائيل ، وانما الخلاف بين الامم فى فروع الشرائع التى تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، رعاية لمصلحة البشر بحسب التطور الانسانى .

واليكـــ أيها القارىء ـــ كلمة عن كل وصية :

(أ) توحيد الله بالعبادة : « لا تعبدون الا الله » :

---

(١) قولوا لهم قولا حسنا ، وهو ما تطيب به النفوس ، ومنه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى غير عنف ولا خشونة ، والنصيحة ، والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٢) اقام الصلاة : أداؤها تامة مستوفية الشروط والاركان .

(٣) ايتاء الزكاة : اعطاؤها لمستحقيها ، والصلاة التى أمر بنو اسرائيل باقامتها ، والزكاة التى أمروا باتيانها هما : الصلاة والزكاة المشروعتان فى ديانتهم .

(٤) فالخطاب فى الآية الكريمة للمسلمين ، وقيل : انه لليهود .

وهو أعلى الحقوق وأعظمها ، حق الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده ، وقد أمر بذلك جميع خلقه : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون(١) » « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت(٢) » .

فعلى كل انسان أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا : يعبده لانه مدين له بالخلق والايجاد ، مدين له بالهدى والارشاد ، مدين له بكل نعمة من نعم هذه الحياة ، فى صحته ، فى ماله ، فى أهله وولده ، فى جوارحه ، فى شعوره وادراكه ، فى عواطفه واحساساته ، فى منامه ويقظته ، فى حله وترحاله ، فمن آمن بالله على هذا النحو ، وتمثله حين يعبده منعما بهذه النعم وغيرها فهو جدير بأن يمتلىء به نفسا ، وأن يطمئن اليه قلبا ، وألا يشرك به أحدا .

والشرك بالله عنوان فساد العقل الذى هو نعمة الله على الانسان فى هذه الحياة .

والشرك بالله له صور وألوان : فعبادة غير الله شرك ، ونسيانه فى الملمات والتوجه فيها الى أحد من خلقه شرك ، وابتغاء خديعة الناس ومراءاتهم بعمل الخير وفعل الطاعات شرك ، وتعظيم الناس بما يعظم به الله من أقوال وأفعال شرك . الحلف بغير الله شرك ، النذر للاولياء والطواف بقبورهم ، والاستغاثة بأسمائهم شرك .

والشرك فى جميع صوره وألوانه قاض على الفضيلة ، مميت لعاطفة الخير ، سبيل للتردى فى الهاوية : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق(٣) » .

ب ـ الاحسان بالوالدين : « وبالوالدين احسانا » :

بدأ الميثاق بالاهم وهو توحيد الله بالعبادة ، ثم عطف عليه الامر

---

(١) آية ٢٥ من سورة الانبياء .

(٢) من آية ٣٦ من سورة النحل .

(٣) من آية ٣١ من سورة الحج ، وارجع ـ فى عبادة الله وتوحيده ـ الى ما مضى من تفسير الآية الخامسة من سورة الفاتحة : « اياك نعبد واياك نستعين » ، ومن تفسير الآية الحادية والعشرين ٢١ من سورة البقرة : « يأيها الناس اعبدوا ربكم » .

بالاحسان الى العباد قولا وعملا • ولما كانوا متفاوتين فى ذلك بدأ بأحقهم وهما الوالدان ، ثم أتبعهما ذوى القربى رعاية لحق القرابة ، ثم اليتامى لضعفهم ثم المساكين سدا لحاجتهم ، ثم سائر الناس •

فأولى المخلوقين بالاحسان الوالدان ، ولذلك قرن سبحانه بين حقه وحق الوالدين فى كثير من الآيات : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا (١) » « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا (٢) » « أن اشكر لى ولوالديك (٣) » وفى الصحيحين عن ابن مسعود قلت : يارسول الله أى العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على وقتها» قلت : ثم أى ؟ قال « بر الوالدين » • قلت ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » •

ويكفى المرء منا ليعرف حقوق أبويه عليه أن يرجع الى قلبه وعواطفه . ويستعيد شيئا من ذكريات طفولته . وما كان من أبويه معه : فى يقظته ومنامه . فى صحته ومرضه ، فى رضاه وغضبه ، فى غيابه وحضوره . وأن يتابع تطورات حياته منذ كان جنينا فى ظلمات الرحم الى أن أصبح رجلا قويا ذا كيان مستقل : من احتمله وهنا على وهن ؟ من وضعه كرها ؟ من رعاه ؟ من أطعمه وسقاه ؟ من علمه ورباه ؟ من بذل راحته ليهنأ ؟ وضحى بسعادته ليسعد ، واحتمل العناء فى ماله وجسمه وصحته وأعصابه ليوفر له حياة الرغد والامن والاستقامة ؟

ألا انه لا يوجد فى الحياة من يعتبر بحق مثال التضحية الصامتة الصابرة المثابرة الراضية المطمئنة كالوالدين بالنسبة لولدهما ، لذلك كان برهما والاحسان اليهما مقتضى الفطرة ، لانه شكر للنعمة . واعترافه بالجميل « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » •

جـ ــ الاحسان بذى القربى : « وذى القربى » :

يوصينا الله عز وجل بالاحسان ــ كذلك ــ الى ذوى القربى ،

---

(١) من آية ٣٦ من سورة النساء .
(٢) من آية ٢٣ من سورة الاسراء .
(٣) من آية ١٤ من سورة لقمان .

وهم من تجمعك بهم صلة القرابة من جهة الاب ، والام ، فالاخوة والاخوات ، وأولادهم ، والاعمام والعمات ، وأولادهم ، والاخوال والخالات ، وأولادهم — من ذوى القربى .

والاحسان اليهم هو :القيام بما يحتاجون اليه بقدر الطاقة ، قال تعالى : « وآت ذا القربى حقه (١) » .

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الرحم معلقة بالعرش ، تقول : « من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله » .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى « أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وعنده قرابة محتاجون لصدقته ويصرفها الى غيرهم، والذى نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة » .

وقد رتب القرآن الكريم على قطيعة الرحم سوء العاقبة ، وغضب الله ولعنته ، فقال : « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم ؟ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (٢) » .

وفى صلة الرحم ، والاحسان الى الاقارب ، وايتائهم حقوقهم تقوية للروابط فى الاسرة ، وتماسك لها ، ومن لا خير فيه لذوى قرابته فلا خير يرجى منه لغيرهم .

د — الاحسان باليتامى : « واليتامى » :

ما أجدر اليتيم بالرعاية والعطف ، والشفقة والبر . انه نبات ناشىء بحاجة الى السقى والتعهد ، انه انسان صغير فقد أباه فى مطلع حياته ، انه طفل لا يصلحه الا السرور والمرح والهدايا والبشاشة والرحمة ، ولكنه حرم ذلك كله . انه يرى الاطفال من حوله مدللين

---

(١) من آية ٢٦ من سورة الاسراء .

(٢) آيتا ٢٢ و ٢٣ من سورة محمد .

يدعون آباءهم فيلبون دعاءهم ، ويسارعون الى تحقيق رغباتهم ، أما هو فيظل وحيداً شارد الفكر ، ان كان فقيرا جفاه الاقربون والابعدون ، وان كان غنيا تربص لامواله الاوصياء والطامعون •

وقد ذكرت أحكام اليتيم الذى فقد أباه فى سورتى البقرة والنساء وغيرهما من السور المدنية ، كما أوصت بالاحسان اليه ، وحذرت من الاساءة اليه كثير من السور المكية •

ومن الاحسان الى اليتامى حفظ أموالهم وتثميرها ، والقيام برعايته واصلاح شأنه فى كافة أحواله : فى نفسه ، فى خلقه ، فى تربيته وتعليمه « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير (١) » « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده (٢) » •

هـ ــ الاحسان الى المساكين : « والمساكين »

« انما المؤمنون اخوة » وهذه الاخوة بينهم تقتضيهم التعاطف والاحسان وأن يبذل الاغنياء لاخوانهم الفقراء عيال الله ــ مما آتاهم الله من فضله •

ابحث عن تلميذ عاجز عن متابعة دراسته لفقره ، تصدق على بائع صغير ذى عيال تقدر تجارته بدراهم معدودة ، أنقذ مدينا لا يجد ما يقضى به دينه ، أعن على دواء مريض محتاج ، احمل ابن سبيل قد انقطع به الطريق ، فمن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيـــا نفس الله عنه كربة من كربات يوم القيـــامة •

و ــ القول الحسن : « وقولوا للناس حسنا » :

على الانسان أن يكلم أخاه كلاما طيبا ، وأن يلين له جانبا ويدخل فى ذلك نصيحة الناس ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وذلك صـــدقة •

---

(١) من آية ٢٢٠ من سورة البقرة .
(٢) من آية ١٥٢ من سورة الانعام ، ومن آية ٣٤ من سورة الاسراء.

والاسلام صلة بين أهله يوجب عليهم أن يعتبروا أنفسهم وحدة متماسكة متعاونة ينصح بعضها بعضا ، ويرشد بعضها بعضا .

والتناصح بين الاخ وأخيه هدية ، لهذا وجب أن يقدم النصح فى لطف وحسن ذوق واحتشام ، كما هو شأن الهدية ، لا أن يلقى به فى وجه صاحبه فى غلظة وجفوة واجتراء ، فكم من نصيحة غالية يرفضها من قدمت له غير آسف عليها ، لانها قدمت له فى ثوب كريه ، وبصورة تمجها الاذواق السليمة ، والطباع المستقيمة .

والله تعالى يقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أهدى المرء المسلم لاخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ، أو يرده بها عن ردى » .

وعن الامام أحمد بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحقرن من المعروف شيئا ، وان لم تجد فالق أخاك بوجه منطلق »

ح ، وط ــ اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » :

الصلاة والزكاة عبادتان : بدنية ، ومالية ، تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، وتطهر الزكاة صاحبها من داء الشح والبخل « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٢) » .

---

(١) من آية ١٢٥ من سورة النحل .

(٢) من آية ٩ من سورة الحشر ، ومن آية ١٦ من سورة التغابن ، وارجع الى ما مر فى تفسير قوله تعالى من سورة البقرة « ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

وبعد . فهذا هو الميثاق الذى جاءت به التوراة ، ثم جاء به القرآن مصدقا لها ، فهل قبله اليهود ، وهل وفوا به ؟

انهم تولوا عنه ، فمن عادتهم الاعراض ، والتكذيب والعناد . أعرضوا عنه وفيه سعادتهم ، وحياتهم الهادئة الهنيئة ، فهم الذين جبلوا على لؤم الطبع ، وحب المادة ، فلن نرى منهم احسانا ولا خيرا . أما القليلون منهم فانهم التزموا بالميثاق ونفذوه ، وهم المخلصون فى ايمانهم من أسلافهم ، قبل أن تنسخ شريعتهم ، ومن آمن منهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وحافظ على هذا الميثاق الموجود فى سائر الرسالات ، كعبد الله بن سلام ، وزيد بن سعنة .

اللهم وفقنا للتمسك بكتابك ، والاهتداء بسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، انك ولى التوفيق .

عنتر حشـــاد

لا حق لأحد فى فضـــل

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما نحن فى ســـفر مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له) فذكر من اصناف المـــال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل . رواه مسلم